# قـ ـداس رأس الـسنـة

صباح الخميس ١ كانون الثاني ٢٠٠٤ وبمناسبة ذكرى ختانة السيد وتذكار أبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير ورأس السنة ترأس سيادة متروبوليت بيروت وتوابعها المطران الياس عوده خدمة القداس الإلهي في كنيسة القديس نيقولاوس وألقى بعد الإنجيل العظة التالية:

«باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد. آمين.

حزن عميقٌ غمرنا جميعنا نحن اللبنانيين في الأيام الأخيرة من السنة المنصرمة. كلنا تألّمنا لما حصل لأبنائنا اللبنانيين الذين فارقونا إلى الغربة ومنها إلى الله. كذلك تألّمنا بسبب الزلزلة التي هزت بلاد إيران فقتلت عشرات الآلاف وشردت الباقين الذين يقبعون الآن في البرد والجوع والمرض والموت.

في هذا اليوم الذي به نبتدئ السنة المدنية نرفع الصلاة معاً لكي يأخذ الرب في محبته ورحمته جميع الذين انتقلوا إليه، ونسأله أن يمطر على قلوب الحزانى تعزياته الكبيرة التي بها تتحول القلوب إلى الثقة والرجاء بخالقها. كما نسأله لنا نحن التوبةَ إليه لأن ما حصل قد يحصل لكل منا إن في لبنان أو في إيران أو في أي بلد آخر. لقد استشعرنا جميعاً الجانب المحزن الأليم، إنما هناك الأمثولة أن الحياة ليست في أيدينا بل أُعطيت لنا وتؤخذ منا في أية ساعة يشاؤها الله. الرب يطلب منا أن نسهر وأن نستعد للقياه في أي زمن وأية لحظة يأتي إلينا فيها. صلواتنا القلبية العميقة أن نرى هذه الوجوه المعفّرة بالألم والحزن والدمع تنعم بالرجاء والفرح القيامي. كما نسأل الله أن يجعل السلام في هذه الأرض وفي شعبها لأن الإنسان فيها يرنو إلى الشر أكثر منه إلى الخير ويتجه نحو البغض عوض أن يتجه بالمحبة نحو الآخر. نسأله تعالى أن يجعل هذا الشرق الأوسط شرقاً يطلع الضوء للناس عوض الظلمة الشريرة، وأن يجعل العالم في هدوء وسكون فيهما الناس يتحابون. وأسأله لبلدنا أن تنسكب القناعةُ في قلوبنا وأن نعمل بما أوصانا: «أحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا».

في خدمة الإكليل نطلب من المرأة أن تطيع رجلها، ولا نقصد بهذا الكلام ذلاً أو تراتبية بل انسجاماً ووحدة وقيادة يتفق عليها. ونقول للرجل أحبب امرأتك كما أحب اللهُ الكنيسةَ وبذل نفسه لأجلها أي أحبب هذا الكائن الآخر الذي وهبك إياه الله، حتى الدم، كما بذل يسوع نفسه على الصليب ضحيةً من أجلك ومن أجل زوجتك وكل إنسان.

أسأل الله أن نحافظ على الوصية «أحبوا بعضكم بعضاً» لأن ما نحتاجه في لبنان هو المحبة الحقيقية عوض أن يطعن أحدنا الآخر ويشتمه. أسأل الله أن يجعل المسؤولين عنا تائبين إليه، تائبين إلى المحبة، متجاوزين الأنا المتسلّطة. وإذا أحببنا بعضنا بعضاً تصبح هذه البقعة الجميلة التي أنعم بها الله علينا مرتعاً لكل من لجأ إلى الأمان والسلام والمحبة والوداعة.

أن نحب، أن يضحي واحدنا من أجل الآخر ليس بالأمر السهل. أن تنكر ذاتك لكي يحيا الآخر عملٌ ينبع من الصليب الذي يحيي، الصليب الذي سمر عليه ابن الله من أجل خلاصنا، بسبب محبته العميقة لنا.

نحن نعيد اليوم لختانة الرب يسوع الذي كان من الشعب العبري. طلب الله من ابراهيم أبي المؤمنين جميعاً أن يكون عهد بينه وبين ابراهيم ونسله. «وقال الله لإبراهيم... هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذَكر، فتُختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم... فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً» (تك ١٧: ٩-١٣). هذا العهد كان بالدم. عندما تعطي دماً فأنت تعطي حياةً. حياتك التي سفكت بقطع هذا اللحم قد سفكت من أجل أن تكون واحداً مع الله ومن أخصائه. لكن الختان ليس ظاهرياً. الختان الحقيقي هو ختان القلب، عندما نقطع من قلوبنا كل ما التصق بها من أمور تؤذيها ومن أوساخ ورذائل وشهوات سيئة وميول ضارة: «فاختنوا غرلة قلوبكم ولا تصلّبوا رقابكم بعد لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب، الإله العظيم الجبار المهيب الذي لا يأخذ بالوجوه ولا يقبل رشوةً، الصانع حق اليتيم والأرملة والمحب الغريب ليعطيه طعاماً ولباساً... الرب إلهك تتقي، إياه تعبد وبه تلتصق...» (تثنية ١٠: ١٦-٢٠).

نعيد للختانة اليوم لكي يكون الرب يسوع قدوة لنا فنقطع من أجسادنا ومن نفوسنا والقلوب كل ما يقف حاجزاً أو عائقاً بين الإنسان وبين التصاقه بالله.

عندما بلغ يسوع سن الإثني عشر (وهو العمر الذي فيه يتعلّم اليهودي الكتاب) أخذه أبواه إلى أورشليم وفي طريق العودة أضاعاه ثم وجداه في الهيكل، فسألته أمه لِم فعل بهما هكذا فأجابها «لماذا تطلباننني؟ ألم تعلما أنه ينبغي لي أن أكون في ما هو لأبي؟» الطفل يسوع كان يعلم انه عندما خُتن أصبح يخص الله لذلك قال لأمه ان عليه أن يكون لله أولاً ثم لأبويه، وهذا ليس تمرداً لأنه ذهب بعدئذ معهما إلى الناصرة «وكان خاضعاً لهما». وهذه الطاعة نابعة من اتحاده بالله.

المسيحي يختن بالمعمودية، يختن بختان غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح «مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه» (كو ٢: ١١-١٢)، «نحن الختان، الذين نعبد الله بالروح ونفتخر في المسيح يسوع» (في ٣:٣)، لأن الختان الذي في الظاهر في اللحم ليس ختاناً بل ختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحه ليس من الناس بل من الله (رو ٢: ٢٨-٢٩).

المعمودية تُميت الجسد من حيث انه أداة الخطيئة (رو ٦:٦) وتجعله مشاركاً في الحياة من أجل الله في المسيح (رو٦: ١١). بالمعمودية يتحول الإنسان كلياً ويصبح للمسيح. خاتم الروح القدس الذي نُختم به في المعمودية يجعلنا مكرسين لله، إنما علينا أن نجاهد باستمرار من أجل الحفاظ على هذه الحالة. على المسيحي أن يحافظ على نفسه وعلى حياته. عليه أن يقدم نفسه للمسيح، أن يضحي بالأنا من أجل الآخرين لكي ينقذها. لا يمكنك أن تتبع يسوع بدون اتخاذ الخيارات الحاسمة والصعبة في ما يختص بولائك الأساسي والنهائي ليسوع المسيح. قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: «روض نفسك للتقوى لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل ولكن التقوى نافعة لكل شيء إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة» (١ تيم ٤: ٧-٨). روض نفسك على الأعمال

الصالحة، روض نفسك على قراءة الكتاب، روض نفسك على الأخلاق الحميدة، على ضبط أهوائك وشهواتك، روض نفسك على مجابهة كل شر.

فيما نحن نتألم كشعب، أطلب من الذين يمارسون الحقد أن يقوموا برياضات روحية لتنقية نفوسهم. إذا كانوا فعلاً مؤمنين بالله، يحبونه ويطيعونه، لِم لا يستلهمون تعاليمه؟ هل يعلّمنا الله أن نكره الآخر وننبذه ولا نحبه أو نتعاون معه؟ خصوصاً إذا كان التعاون من أجل الخدمة، والخدمة لا تخص النفس بل الآخرين. خدمة الآخرين تجمع إلا إذا كانت من أجل مآرب شخصية أو من أجل مصلحة الجماعة والعشيرة والأزلام.

في بلادنا المسلمون يختنون والمسيحيون يعمدون وفي الحالتين تكريس لله. ومن يخص الله يحب الآخر ويحترمه ويتعاون معه ويحتمله لأن «المحبة تحتمل كـل شيء» (١كو ١٣: ٧). نحن بحاجة إلى الصدق، الصدق في العلاقات وفي النوايا وفي الإيمان بالله لأننا إن لم يستطع الله توحيدنا فلن يوحدنا شيء لأن ما ليس مستطاعاً عند الإنسان مستطاعاً عند الله. نحن بحاجة إلى النقاء، نقاء القلب ونقاوة اليد ليعم هذا النقاء وطننا ونتخلّص من الفساد والإفساد والرشوة والارتشاء ـ الذي أصبح مساراً محموداً عند بعض الناس ـ وسرقة المال العام، المال الممزوج بعرق الفقير ولا يتوانى بعضهم عن استباحته أو العبث به. إن على من يمس مال الدولة أو أي مال ليس ملكاً له أن يقطع جيبه لكي لا يكون هذا الجيب طريقة إلى الهلاك. عليه أن يقطع يده إن كانت تمتد إلى عمل الشر: «إن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك... وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم» (متى ٥: ٢٩-٣٠). معظمنا يتكل على المال أو الجاه أو القبيلة والجماعة والطائفة عوض الاتكال على الله. لذا، نطلب منهم القيام برياضات روحية كما يقومون بالرياضات الجسدية، نطلب منهم التأمل في كلام الله والسير في طرقه المستقيمة التي تؤدي إلى رضاه ورحمته.

أضاء الرب قلوبنا جميعاً بمحبته ليعود بلادنا مشرقاً بنور الرب آمين».